وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الأول

محفوظة جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778327

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الأول، (٥٣٤ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (١٧٤٦) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ إقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم

م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين

م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي

م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي

أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

الإعجاز الطبّي للتمر (الرطب) لسيّدنا الإمام عليّ عليه السلام ١١

أ. د. محمد جياد النعيمي

الحجاج المُدَّعم في الخطاب العلويّ قراءة استكشافيّة في اللسانيّات الاجتماعيّة ٦٥

أ.د حازم طارش حاتم

نصُّ الدعاءِ وشعريّة تودوروف الأجناسيّة دعاءُ كميلٍ اختيارًا ٨٩

أ.د. خليل شكري هياس / أحمد علي الهادي سليمان

التربية والتّعليم في القرآن وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٩

أ.د. دلال عبّاس

التوجيه اللغوي لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام في المدوّنات القرآنيّة..... ١٧٧

أ.د. سليمة جبّار غانم

منهجُ أميرِ المؤمنين عليه السلام في أقواله في تفسير القرآن الكريم..... ٢٠٧

أ. د. سميّة حسن عليان

الأثر القرآنيّ ومكانة الإمام عليّ عليه السلام ودور أهل البيت في التفسير ٢٣٣

أ. د شاكر محمود مهدي هادي العزاويّ

الشاهدُ القرآنيُّ مقتضًى إقناعيٌ في خطبةِ الديباجِ للإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السلام..... ٢٥٧

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداويّ

أثرُ الإمامِ عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيّان التوحيديّ ٢٨٥

أ.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

حِلِّيَّة المطعوم وتحريمه فيما رُوِي عن الإمام علي عليه السلام في سورة المائدة ٣١٣

أ. د. علي رحيم هادي الحلو

الأثرُ القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وتفريعه في قصيدة (وجوهٌ لعليّ) ٣٣١

أ.د. علي مجيد البديري

إيثارُ أمير المؤمنين عليه السلام آيةُ ليلةِ المَبيت مصداقًا ٣٥٥

أ.د. علي نيكوكار

الثابتُ والمُتغيِّر في السلطةِ عندَ الإمام عليّ عليه السلام في ضوءِ المَنهجِ القُرآني ٣٨٥

أ.د. كاظم عبد فريح

التعايشُ السلميّ وحقوقُ الإنسان عند أمير المؤمنين عليه السلام دراسةٌ تطبيقيةٌ وميدانيّةٌ.... ٤٠٧

أ.د.مصطفى محمد أمين الأتروشي/ آسيا عبد الله أحمد

المُشيراتُ القرآنيَّةُ في الخُطبِ العلويَّة (قراءَة معرفيَّة جديدَة في الدّراسات اللسانيَّة)... ٤٢٩

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي

عالميّةُ الخطابِ العلويّ من منطقِ القيمِ القرآنيّةِ إلى منطقِ نشرِ القيم..... ٤٥٥

أ. د. آمال خلف علي آل حيدر

رؤيةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في الوسطيّةِ والاعتدالِ من المنظورِ القرآنيّ أداةٌ في محاربةِ ٤٧٥

أ.د. حيدر كريم الجمالي/ أ.د. صادق فوزي النجادي

السياسة الاقتصاديّة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة الفقر ٥١٣

أ.د. برزان مُيَّسر الحامد

الأثرُ القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وتفريعه في قصيدة (وجوهٌ لعليّ) لجودت فخر الدين

أ.د. علي مجيد البديري
جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخّص:

تحاول هذه الدراسة معاينة تجلّيات الأثر القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، عبر ما قدّمته قصيدة الشاعر اللبناني المعاصر (جودت فخر الدين) التي حملت عنوان (وجوهٌ لعليّ)، في ثلاثةِ محاور هي: التمثُّل الحيّ للقرآن: عليٌّ يجترحُ الخَطْوَ، وحركيّة التساكن: عليٌّ يحيا متّقدًا بالكلمات، وامتدادُ الأثر: عليٌّ يبكي قتلاهُ.

وقد انتهت الدراسة إلى أنّ الوجوه الثلاثة التي شكّلت هيكل القصيدة ومقاطعها قد أبرزت التعالق الكبير والعميق ما بين الإمام عليه السلام والقرآن الكريم، وأرادت من ذلك أن تكشف عن جحودِ المجتمع الإسلامي لهذا، وتنكّره للولاية ولعطاءِ الثقلِ الإلهي الثاني، ووجوب امتداده في الحياة، فضلًا عن متابعة الدراسة لأثرِ هذا التعالق وتفرّعه في القصيدة، فكان تمثّله يتناوب بين الظهور والخفاء، على نحوٍ حقّقَ للقصيدة ميزتها الجماليّة في محاولتها رسم ثلاثة أبعادٍ لشخصيّة الإمامِ عليه السلام.

الكلمات المفتاحيّة: أميرُ المؤمنين عليه السلام، قصيدة (وجوهٌ لعليّ)، جودت فخر الدين.

Abstract:

This study examines the manifestations of Quranic influence in the life of the Commander of the Faithful (PBUH) as portrayed in the poem "Faces of Ali" (Wujuhun li-Ali) by the contemporary Lebanese poet Jawdat Fakhreddine. The research is structured around three primary axes:

The Living Embodiment of the Quran: Ali Creating the Path.

The Dynamics of Coexistence: Ali Living Ablaze with Words.

The Extension of Influence: Ali Mourning His Fallen.

The study concludes that the three "faces" forming the poem's structural framework highlight a profound interconnection between the Imam (PBUH) and the Holy Quran. Through this imagery, the poet seeks to expose the denial within Islamic society regarding this bond, its rejection of the Wilayah (Guardianship), and the dismissal of the "Second Divine Weight" (Al-Thaqal al-Thani) and its necessary continuity in life. Furthermore, the study tracks the ramifications of this interconnection within the poem, where its representation oscillates between presence and latency. This stylistic approach provides the poem with its aesthetic distinction, successfully depicting three-dimensional facets of the Imam's personality.

Keywords: The Commander of the Faithful (PBUH), The Poem "Faces of Ali", Jawdat Fakhreddine.

المقدّمة

تمثّلت طبيعة العقبات والتحدّيات التي عاشها أميرُ المؤمنين عليه السلام أيّام خلافته في النزعات العدائيّة التي لم تؤمن بملازمة الحقّ له ودورانه معه حيثما دار، وانقادت لمطامعها، فتمّ توجيهها إلى الداخل الكوفي بدلًا من الخارج، وكان تذبذب أصحابها ونفاقهم أداةً وسلاحًا لمعاوية، أفاد منه بشكلٍ غير مباشر في محاربةِ الإمام عليه السلام، وإضعاف حكومته. وقد استند عليه السلام في قوله وفعله إلى وحدةِ الوسائل والغايات؛ فليست هناك غاية تبرّر الوسيلة كما يعتمد ذلك الانتهازيّون والوصوليّون، بل أنّ تحقيق الغاية النبيلة لا يتمّ إلّا بوسيلة نبيلة مثلها، وهو ما جعل منهجه متفرّدًا في الحياة والسياسة وإدارة شؤون الأمّة، وأسس ذلك كلّه قائمة على كتاب الله تعالى، فهو الثقل الإلهي الأكبر الذي تمثّله الإمام في كلّ تفاصيل حياته، حتّى غدا هو بذاته القرآن الناطق، الذي تتشكّل فيه وعبره المواقف والرؤى في مجالات حياتية وأحداث تاريخيّة كبرى. ولعلّ ما ورد في وصف هذه العلاقة التلازميّة ما بينه وبين كتاب الله تعالى يغني عن التوضيح والبيان، من ذلك ما روي عن ابن عباس قوله: ((ما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلّا وعلي أميرها وشريفها. وعنه: ما ذكر الله في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلّا وعليّ شريفها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله في آي من القرآن وما ذكر عليًّا إلّا بخير... وعن حذيفة: إلّا كان عليّ لبّها ولبابها))[1].

لقد كانت هذه الحياة الاستثنائيّة المليئة بالتحدّيات، مادّة وافرة القوّة والتنوّع للكتابة الشعرية، قديمًا وحديثًا، وقد جذب انتباهي نصّ للشاعر اللبناني المعاصر جودت فخر الدين يوظّف فيه ملامح هذه الحياة عبر مقاطع ثلاثة أسماها (وجوهٌ

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ٣٦/ ١١٧.

لعليّ)[1]، يُنبئ عنوان القصيدة بأنها إعادة تشكيل وتصوير لجوانب من حياةِ الإمامِ عليه السلام التي ستشكل نسيج النصّ وهيكله. ومنذ البدء يشعر القارئ أنّه أمام نصّ واقعي، ليس للمتخيّل فيه نصيب كبير، فهو لا يتجاوز ضرورته الفنّيّة في تشكيل الصورة الشعريّة، وإلّا فإنَّ ملامح الوجوه الثلاثة التي ستتكفّل المقاطع برسمها تمثّل مقاربة شعريّة خاصّة بالشاعر لشخصيّة الإمام عليه السلام.

صوّرت (الوجوه) إخفاقاتِ المجتمع في فهمه عليه السلام والإفادة من إمامته ووجوده المبارك، فجعل الشاعر من ذلك عاملًا مساعدًا في تحقيق مشتركٍ موضوعي في عمق النصّ ككل، عملَ كبنيةٍ مركزيّة مولِّدة لتفاصيل الملامح المرسومة في الوجوهِ الثلاثة من حياة الإمام. وانعكس ذلك كلّه في طريقة تشكيل هذه المقاطع التي اعتمدت السرد تارةً والوصف تارةً أخرى، بهدفِ الربط بين الواقع المرير الذي كابده، وبين ذاته الشريفة وملكاتها الإلهيّة الكثيرة، فجاءت الوجوه عبارة عن تنويعات لحياة واحدة متماسكة، وحاولت أن تحقّق اقترابًا من ضفاف شخصيّته عليه السلام، وأن تقدّم مفاتيح لقراءتها، الأمر الذي انعكس على التماسكِ الموضوعي في النصّ، ومَثَّلَ التعالق الكبير ما بين شخصيّته والقرآن الكريم وتجلّياتها في حياته أوّلًا، البؤرة المولّدة فيه، ومن ثمّ يتفرّع الأثر القرآني ليتّخذ مسالك فاعلة في النصّ، عبر محاولة الشاعر فخر الدين الإفادة من طاقاته الدلاليّة، وتوظيف أصدائها على نحوٍ غيرِ مباشرٍ.

لا شكّ أنّ من موجّهات اختيار الشاعر الكتابة عن الإمامِ عليّ عليه السلام، أنّه شخصيّة استثنائية، لم تكن عابرة كغيرها، ولم تكن البلاغة والبيان منجزه الوحيد، وعلامته الفارقة، وميزته الخالدة فحسب، بل وضمّ إليها صلابة الموقف وسداد

(١) سماوات: جودت فخر الدين: ٩ – ١٩.

الرأي والحكمة والعدل في الأحداث والمواطن المختلفة[1]، ولهذا لم تكن مقاربة صورته بالأمر السهل، فاختار الشاعرُ بعض أبعاد شخصيّته عليه السلام، محاولًا تقديم تمثيل لأبرز محطّات حياته الشريفة، قارئًا فيها حضور القرآن الكريم فكرًا وسلوكًا.

المحور الأوّل: التمثُّل الحيّ للقرآن: عليٌّ يجترحُ الخَطْوَ

في الوجه الأوّل يرسم الشاعر ملامح علاقة أمير المؤمنين عليه السلام بمجتمعه، كان يعاتبُ الأرض كأب، ويعاتب الناس الذين يجحدون فضله، ولا يفيدون من وجوده، ومع هذا يجترح الخطو إليهم، ليرتفع بهم وبأيّامهم وينيرها:

((خانَتْهُ الأرضُ
فلم تجلسْ هانئةً بين يديْهِ
ولم تسْبَحْ في سرِّ خُطاهُ
وراحتْ تجمحُ في عينيْه وتنفرُ مثلَ حصانٍ أعمى
خانَتْهُ الأرضُ
وكان يعاتبُها كأبٍ
ويبدِّدُ فيها أشجارَ يديْهِ
فتذهبُ عنهُ، لتشردَ فاقعةً في عيْنِ الشمسِ
يبدِّدُ فيها أشجارَ يديْهِ، فلا تلقاهُ بوجهٍ
خانَتْهُ الأرضُ
فسارَ وحيدًا في الأرضِ
وكان الناسُ يَرَوْنَ إلى وحدتِهِ،
فيثوبون إلى شحِّ بصائرهمْ

(١) ينظر: (سماوات) ديوان جودت فخر الدين تقاطعات نون الجمع، العدد: ٩/ ١٩.

يجتنبون سماءً تتبعُهُ، ويهيمون على وجهِ الدنيا
كان عليٌّ يجترح الخَطْوَ على أرضِ الناسِ
ليرفعَ أيامَ الناسِ، فيَجْحَدُهُ الناسُ
وكان يضيءُ فيُطفئُهُ الناسُ
هي الأرضُ المَلأُ المَمْسوسُ
هي الأرضُ الفِتنةُ
سار عليٌّ في أرضٍ جاحدةٍ
هل كان لهُ أن ييأسَ أو يتردَّد؟
ما كان ليطفئَهُ الناسُ
توهَّجَ فيهمْ، ومضى برْقًا يتوقَّدْ
ينأى مُحْتَجِبًا، لكن لا يلبثُ أن يتجدَّدْ
خانَتْهُ الأرضُ
فسار وحيدًا في الأرضِ
يقودُ سماءً خرجَتْ من ثوبِ محمَّدْ))

يعمد الشاعر هنا إلى جعل المشهد متضادًّا في أركانه؛ فأمير المؤمنين عليه السلام في تمثّله لكلام الله تبارك وتعالى يطلب إحياء الأرض ونظم الحياة، فهو خليفة الله في أرضه، متمثّلًا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر:٣٩] وفي المقابل نجد الهوّة السحيقة التي يحدثها الآخرون بينهم وبين منهجِ الإمام عليه السلام، فهم على الضدّ من كلّ معاني الاستخلاف الواردة في الآية، والمجسّدة في سلوكه وحياته.

الأرضُ في المقطع الشعري معادلٌ موضوعي للأمّة الجاحدة؛ ولذا فإنّ ذلك يستدعي استشعار تمدّد التعالق، ليشمل تماثل الجحود هنا مع حالة الكفر في الآية الكريمة، وقد عمد الشاعر في بناءِ هذا المشهد على الوصف والإخبار، وتُرِكَتْ للقارئ ما يستطيع أن يتصوّره في ذهنه من مشاهد من حياةِ أمير المؤمنين عليه السلام وملامح شخصيّته، ولم يخلُ الوصف والإخبار من الإيحاء بأبعادٍ نفسيّة، ومن دلالات ذات منحًى ثقافي تعبّر عن واقع المجتمع آنذاك وهيمنة المصالح الفرديّة فيه، وقد سعت القصيدة إلى تجسيد حقيقة مفادها أنّ الإمام فكرًا ورسالةً يعيش خارج تاريخيّته، أي: خارج المفصل الزمني والثقافي، فهو يقودُ ((سماء خرجتْ من ثوبِ محمّد صلى الله عليه وآله، ويتجدّد ويتوقّد، ولا يطفئه الناس))، على الرغم من خيانة الأرض له، وابتعاد الناس عنه، وجحودهم فضله ومنزلته، على نحوٍ يتمثّل فيه تعالقٌ آخر مع قولهِ تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]، ويبلغ جحود الأرض حدًّا لا يقف فيه الجاحدون عند عدم الطاعة ورفض الموالاة، بل ويعمدون إلى إنكارِ الأهليّة والتقليل من شأنه عليه السلام، وهو منهج المنكرين نفسه الذي ذكره القرآن الكريم في عدّة مواضع، فهم قد كذّبوا النبيّ صلى الله عليه وآله، وزعموا بأنّ نور الله يُطفأ ((كما يطفأ الشمعة بالنفخة، كناية عن أنّهم زعموا أنّ نور الله وهو دينه نورٌ ضعيف كنورِ الشمعة يطفأ بأدنى نفخة، فرموه بالسحر وانقطاع نسبته إلى الله))[1].

وتفرض هيمنة مفردة الأرض في هذا المقطع بشكلٍ متكرّر استدعاء الطرف المقابل لها (السماء) حيث تقوم بينهما علاقة يتكرّر ذكرها في القرآن الكريم بصيغة العطف؛ فلا تذكر السماوات إلّا وتذكر الأرض بعدها، وما السماء هنا إلّا رمز لكلّ

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ٢٥٥.

ما هو إلهيّ مُنزَلٌ من الله تبارك وتعالى مستهدفًا الأرض وإصلاحها وإعمام الخير فيها؛ ولذا نجد أن تنكّر الأرض في حقيقته وفي جوهره تنكّر آني، في ضوء ما ورد من أحاديث عن صلةِ أمير المؤمنين عليه السلام بالوجود، وخضوعه لولايته، ومنها مرويّة سليمان الجعفري، التي نصّها: ((سألتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام، فقلتُ: أتخلو الأرض من حُجّة [الله]؟ فقال: لو خلت الأرض طرفة عين من حُجّةٍ، لساخت بأهلِها))[1]، فهو محور بقائها، وركيزة من ركائز ثباتها؛ ولذلك نجد أنّ التكامل يتحقّق في ولاء الأرض لشخصهِ ومنهجه، على الرغم من تنكّر المجتمع له، فالمستقبل لولايته كما يشعرنا بذلك النصّ، عبر أصداء خفيّة لتعالقه مع أحاديث تصفُ علاقته عليه السلام بالأرض، ومنها يختصّ بآياتٍ من سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ١- ٥]، فعن الأصبغ بن نباتة قال: ((خرجنا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يطوف في السوق فيأمرهم بوفاءِ الكيل والوزن، حتّى إذا انتهى إلى بابِ القصرِ ركض الأرض برجله فتزلزت، فقال: هي هي الآن مالك اسكني، أما والله أنا الانسان الذي تُنبِئُه الأرض أخبارها، أو رجل منّي))[2].

لا تقدّم القصيدة في مقطعها الأوّل جانبًا للعلاقة يغلب عليه التوتّر فحسب، بل تقدّم صورة مثلى لتعامل الإمام عليه السلام مع هذا الجحود، وهذه الخيانة بحنو الأب، ويبسط في الأرض أشجار يديه، عطاءً وخيرًا، والناس مع كلّ ذلك يجتنبون سماءً تتبعه، هو يجترح الخطو على الأرض؛ ليكشف للناس أنّه الحقّ وما عداه زيف وفتنة، وهنا يحضر مضمون لحديثٍ آخر أيضًا، عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك

(١) بصائر الدرجات: ٢/ ٨٧١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ٢/ ٨٣٥.

فالزموا عليَّ بن أبي طالب، فإنّه أوّل مَن يراني، وأوّل مَن يصافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء العلياء، وهو الفاروق بين الحقّ والباطل))[1]، غير أنّ الجاحدين يحاولون إطفاء نوره، فيمضي وحيدًا في الأرض، يقودُ سماء الهداية التي خرجت من ثوبِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله، مُجسّدًا سيرورة توهّجٍ متّصلٍ، لا شأن له بفعلِ الإنسان الجاحد وأساليبه.

وفي جميعِ تفاصيل حياته وسيرته (صلوات الله عليه) كان ينحازُ إلى الحياة الفاضلة الطيّبة التي أرادها الله سبحانه وتعالى للإنسان، وينحاز للحسّ الإنساني، والخلاص من ربقة الظلم والظلمة والنفس والشهوات؛ ولذلك تجده يقف في مواجهة الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا يخشى في الله لومة لائم، ومن هنا أصبح وجوده محكًّا، يميزُ بمحبّته المؤمن من المنافق، وهو ترجمان قولِ النبيّ صلى الله عليه وآله: ((يا عليّ لا يحبّك إلّا مؤمنٌ، ولا يبغضك إلّا منافقٌ إلى يوم القيامة))[2].

لقد قدّم المقطعُ هنا تمثيلًا لاتّصاله عليه السلام بالحياة وتغيّراتها المستمرة، على الرغم من توالي الجحود واستمراريّته الذي تصفه القصيدة، حيث يعملُ عليه السلام بمقتضى إمامته، ويعطي، ويتوهّج، ويتّقد وينشر نور محمّد صلى الله عليه وآله في الأرض، فعطاؤه متّصل ومستمر، وهذا التواصل انتماء للحياة، يتجاوز الأزمنة والأمكنة، لا يتحدّد بالفترة التي عاشها في كنف النبيّ صلى الله عليه وآله وصحبته، وما عاشه بعده صلى الله عليه وآله؛ لأنّه منهج حياة، يجتاز الشكل وحدود الزمان والمكان. وعلى الرغم من أنّ هذا الوجه يُصوّر بدلالة سلبيّة طبيعة علاقة المحيط به، إلّا أنّه في جوهره يقدّم على نحوٍ مختلفٍ تمثيلًا لسمو روحيّته عليه السلام على ما يكابده من صعوباتٍ في التعاطي مع المجتمع الكوفي، وأضفى هذا الأمر على القصيدة طابعًا دراميًّا يتشكّل فيه الصراع بين قوّة الحقّ والباطل، وقوّة

(١) بحار الأنوار: ٣٨/ ٣٧.
(٢) م.ن: ٣٩/ ٢٨٧.

التوحيد في مقابل روح النفاق التي ما تزال متأصّلة في دواخلِ الكثيرين، ومتجلّية في أفعالهم وسلوكهم.

في هذا الوجه الحياتي من القصيدة يعاتبُ عليه السلام الأرض كأبٍ، ولا يمنعها عطاؤه، فيبدّد فيها أشجار يديه، وسنرى في الوجهِ الثالث كيف يعمد الشاعر إلى تنويع هذه الصورة حين هوى في المحراب تعالت أشجار يديه، فهو في غمرةِ الموت، وفي أقصى حالات جحود الأرض له، يفتحُ آفاقًا، وينشرُ أشجارًا للخير، وهذه الآفاق سيتلقّفها فيما بعد الملهوفون والتوّابون والمنتظرون.

لقد عمد الشاعر إلى صوغ الوقائع والأحداث التي مرّ بها أميرُ المؤمنين عليه السلام بإلماحات موجزة، وكان تفريع الأثر القرآني باديًا في ألفاظ المقطع وهيمنتها على فضاء الدلالة العام، عبر مسار السرد الذي جاء في أجزاءٍ منه متبادلًا، متناوبًا بين ذاته عليه السلام وبين هذا الوسط الذي عاشه وأحداثه، فـ(وجوهُ عليّ) التي مثّلت عنوان النصّ كانت تضمّ في الحقيقة طرفين: الإمامُ وسياقه التاريخي الذي عاشه، وتمثّلت الوجوه عبر انعكاسها على مرآةِ السياق، بتنوّعاته العديدة. وتمّ التصعيد في النصّ عبر شعريّة الإخبار، ودلاليّة الوصف؛ وهو ما يعني أنّ هناك تمازجًا وظيفيًّا بينهما، يخلق حركة داخليّة وخارجيّة في آنٍ واحدٍ، تتّصل بالواقع وتحيل إلى دلالات متّسعة، قد تحيل بعض الألفاظ في الوصف إلى دلالةٍ رمزيّة مستمدّة من النصوص القرآنيّة التي ذكرناها، ويصنع النصّ ذلك عبر لغة متواترة، تربط ما بين العناصر الموصوفة بطريقة تتابعيّة، تنتجُ عبرها الصورة الكلّيّة التي أراد لها الشاعر أن تكون قريبةً من ملامحِ شخصيّة الإمامِ عليه السلام.

المحور الثاني: حركيّة التساكن: عليٌّ يحيا متّقدًا بالكلماتْ

في الوجه الثاني يسكنُ الإمام عليه السلام الكلمات، التي تحتضن الأشياء كأمّ، وتسمو بها نحو سماء دانية، ويفتح للناس أبوابًا وحقولًا، وهذا كلّه نتاج علاقته الفريدة بكتاب الله تبارك وتعالى؛ إذ كان القرآن الكريم المحور الثابت في حركته على الرغم من تنوّع أدواره خلال فترة حياته بحسبِ الأحوال والظروف؛ ففي عبادته كان القرآن خير أنيسٍ يرتّل آياته، وفي ساحاتِ الجهاد كان القرآن خير ناصر، وفي عرصات الحكم والسوق كذلك، فكان شاخصًا أمامه دائمًا من دون أن يغفل عنه طرفة عين[١]، وليس أدلّ على هذه العلاقة التلازميّة ما بينه عليه السلام وبين القرآن الكريم من قوله: ((وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ))[٢]، حين كان يوضّح التباس الأمر على الناس في مسألةِ التحكيم في واقعةِ صفّين، وفي هذا الأمر مفارقةٌ عجيبة، فالمنكفئون المنقلبون الذين ظُلِّلوا بتحكيم القرآن، انطلت عليهم مسألةُ التفريق بين الإمام والقرآن، وتنكّروا لحقيقة أنّهما ثقلان لا ينفصلان، وبعيدًا عن تجلّيات التلازم وتحقّقه في حياته عليه السلام، فإنّ العهد لم يكن بعيدًا بأحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله في بيان هذه الصلة ودوامها، وملازمة الحقّ لعليّ عليه السلام وتابعيّته له؛ فهو يدورُ مع عليّ مقتفيًا أثره، وفضلًا على ذلك، يكرّرُ الإمام في أكثر من مناسبة التذكير بهذه الحقيقة، ومن ذلك، خطابه لمعاوية، منكرًا فعله، وموضّحًا علاقته بكتاب الله تعالى، إذ يقولُ عليه السلام: ((يَا ابْنَ أَبِي سُفْيانَ أَنْتَ تدْعُوني إِلَى العَمَلِ بكِتابِ اللهِ وَأَنَا كتابُهُ النَّاطِقُ إِنَّ هَذا لَهُوَ العَجَبُ العَجِيبُ وَالأمرُ الغَرِيْبُ))[٣]، وقد مثّلتْ هذه الأحاديث مرجعيّة واضحة وكبيرة للشاعر فخر الدين، وهو يرسم ملامح (وجه ثانٍ) لأميرِ المؤمنين عليه السلام، يغلب عليه علاقة التساكن ما بينه وبين القرآن الكريم حدّ التماهي والتوحّد:

---

(١) ينظر: الإمام عليّ عليه السلام القرآن الناطق: ١٨٥.

(٢) نهج البلاغة، رقم الخطبة: ١٢٢.

(٣) إرشاد القلوب، المنجي من عمل به من أليم العقاب: ٢٤٩.

((يسكنُ في كلماتٍ تسكنُهُ
يحيا في لغةٍ بِكْرِ
تحتضنُ الأشياءَ كأمٍّ
تسمو بالأشياءِ فترفَعُها نحو سماءٍ دانيةٍ
كان عليّ يحيا في أسرارِ اللغةِ البِكْرِ
ويأتمُّ بها، فتلينُ لهُ
والتْهُ الكلماتُ ووالاها
أنفاسُ عليٍّ كلماتٌ
خُطُواتُ عليٍّ كلماتٌ
كان عليٌّ يحيا متّقدًا بالكلماتِ
يهيمُ بِها، يتقمَّصُها
ويراها تتلألأُ في نَجواهُ وفي عمَلِهْ
يجتذبُ الموتَ بِها ويلاطفُهُ
«نَفَسُ المرءِ خُطاهُ إلى أَجَلِهْ»
كان عليٌّ يسكنُ في كلماتٍ تسكنُهُ
يصنعُ للحرْفِ فضاءً، ويلوذُ بِهِ
يجعلُ للقولِ مضاءَ السيفِ
ويجعلُهُ ينضَحُ بالأسرارِ
ويخفُقُ بالحَسَراتْ
كان عليٌّ يحيا متّقدًا بالكلمات
يجتذبُ الموتَ، يلاطفُهُ بالكلماتِ

وبِهـــا يـــرْسُـــمُ لـــلـــنـــاسِ دروبًـــا
يُـــطْـــلِـــقُ فـــيـــهـــمْ آيـــاتٍ وعـــلامـــات
وجـــــهُ الأيـــــام مـــتـــاهـــاتْ
وكـــلامُ عـــليٍّ أبـــوابٌ، وحـــقـــولٌ، وجـــهـــاتْ))

في هذا المقطع يحاول الشاعر أن يكشّف جانبًا آخر من جوانب شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو علاقته بالكلمة التي أنتجت بلاغة وصفت بأنّها دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ولم تكن هذه الكلمات مجرّد قوالب تحمل دلالات معيّنة، بل يكمن خلفها رؤى معرفيّة ومواقف عقديّة وفلسفة في الحياة، قدّمت للبشريةِ إضاءات هداية في جميعِ أبعاد الحياة وجوانبها المختلفةِ.

وترتبط كلماته عليه السلام بما تتّصف به من عمقٍ وشموليّةٍ، بخصوصيّة كلمات الثقل الثاني (القرآن الكريم) ارتباطًا وثيقًا وكبيرًا؛ فحضورها الفاعل في الحياة هو تجلٍّ حقيقي ومثالي لحضورِ القرآن الفاعل نفسه، ويعمل الشاعر في نهاية هذا المقطع إلى إيجازها وتكثيفها بجملةٍ دالّة ومفتوحة على تنويعات وتفاصيل عدّة حينما يقول (كلامُ عليّ أبوابٌ وحقولٌ وجهات)؛ فهي تفتح آفاقًا واسعة أمام قارئها، ويجد فيها ثمارًا معرفيّة في مختلف مجالاتِ الفكرِ الإنساني، وهي فضلًا على ذلك تتوجّه صوب جهات مختلفة، لا تنحصر في بعدٍ واحد أو جهة محدّدة، فكما تعنى بكلّ مكوّنات العالم الخارجي ونتاجه الفكري، فهي تهتمُّ أيضًا بعالمِ الإنسان الداخلي وما يتعلّق به من قضايا ترتبطُ بقوله وفعله وتفكيرهِ وانفعالاته. إنّ هذا التعالق الحركي والتساكن العميق بين الإمام والقرآن هو تمثيلٌ حيٌّ لعلاقة الكلمة الطيّبة بالوجود، وقد بيّنَ في أكثر من خطبةٍ له شأن القرآن الكريم في الحياة، ومحوريّة شخصه منه بوصفه القرآن الناطق، إذ يقولُ عليه السلام:((إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ لَا يَنْطِقُ

بِلِسَانٍ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ))[1]، ووضّح القرآن قبلاً فاعليّة تأثير الكلمة الطيّبة في الحياة، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥]، ويستدعي كلّ ذلك تأويل هاتين الآيتين المرويّ عن الإمام الجواد عليه السلام، حينما سُئِلَ عن معناهما، فقال: ((الشجرةُ رسول الله، نسبه ثابتٌ في بني هاشم، وفرعُ الشجرة عليّ، وعنصر الشجرة فاطمة، وأغصانها الأئمّة، وورقها الشيعة، وإنّ الرجل منهم ليموت فتسقط منها ورقة، وإنّ المولودَ منهم لَيولَد فتورق ورقة، وحين يواصل الراوي استيضاحه عن معنى قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، يقول الإمام: هو ما يَخرجُ مِنَ الإمامِ مِنَ الحَلالِ والحَرامِ في كلِّ سَنةٍ إلى شِيعتِهِ))[2].

من هنا كانت الكلمات في حياته عليه السلام نابضة بالحياة، ومتوهّجة، تكشف للناس سبل الخير، وتبسطها أمامهم، فقد عاش بين الناس بكلّ وجوده، وكانت لغته تُتَرجِم رؤيته، لتبيّن لهم التوازن في الجمع بين نصيب الدنيا وخير الآخرة. وكان يتقمّصها، فنراها تتجلّى في عمله ومناجاته لله تبارك وتعالى، يسكن في هذه الكلمات كما تسكنه هي؛ ولذا ظلّت متحرّكة داخل الزمن وخارجه، وفي الأمكنة وخارجها حتّى يشاء الله. وقد سعت كلماته إلى الحفاظ على التوهّج الإلهي الذي جاءت به رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله، التي لم يعِها المسلمون بشكلٍ عميق؛ ولذلك كان الانقلاب والردّة، وظلّ أصحاب الدنيا من المجتمع الكوفي وغيره مكبّلين بمطامعهم، على الرغم من محاولاته لتخليصهم منها، واستنقاذهم ممّا هم فيه، ويبقى هؤلاء المنكرون أمام تحدٍ

(١) نهج البلاغة، رقم الخطبة: ١٢٥.
(٢) بصائر الدرجات: ٢/ ٧٩.

كبير مفاده ((أنّهم إنْ كانُوا صَادقينَ فليخْتاروا رجُلًا يكونُ مثلَهُ في الكَمَالِ، وليخْتَلقوا فيهِ مِثلَ تلكَ الآياتِ، فإذا عَجزوا عَنهُما فلْيعلمُوا أنّه الحَقُّ، ومَا نَزلَ فيهِ هو مِن عِندِ اللهِ))[1].

إنّ حالة التضايف ما بين الإمام وكلماته حالة فريدة، إنّه يحيا متّقدًا بالكلمات، يصنع للحرف فضاءً، ويلوذ به، يجعلُ للقول مضاء السيف، يجعله ينضحُ بالأسرار، وحتّى مع الموت يلاطفه بالكلمات، ويرسم للناس دروبًا بكلماته، فهي آيات وعلامات على الهداية، وهي في النهاية أبواب وحقول وجهات مفتوحة على الحياة، ولم تكف هذه الكلمات عن إحداث تأثيرها الإيجابي جماعيًّا في التلقّيات المتعاقبة على مرّ الأزمنة، فهي حتّى وإن تنكّر لها المخالفون في المجتمع الكوفي وفي غيره، فإنّ القيم الإنسانيّة العليا التي تشبّعت بها كلماته منحتها وجودًا عابرًا للأزمنة، وتأثيرًا مستمرًّا في النفوس.

ويبدو أنَّ دلالة مفردة (الأشجار) في المقطع الأوّل تتّسع هنا بارتباطها الخفي مع (الكلمات)، بوصف (الأشجار) رمزًا يعمل على تجسيد تقاربٍ مع أفعال الحياة، تمدُّ الإنسانَ بالثمر، وتمنحُه ظلَّها الوارف، وتشكّل سببًا من أسباب الحياة، وفضلًا عن ذلك، فإنّها تُعدُّ من شواهد الأرض وعلامات الثبات، وحركتها الأفقيّة ووجودها منتشرٌ في أكثر من مكان، وهو دليلٌ على امتداد وجودِها في حياة الإنسان. أمّا ارتفاعُها بشكلٍ عمودي جاء تجسيدًا لارتقائها إلى السماء، وصلتها المتفرّدة بها، وبإيجاز هي كرمُ الأرض؛ ولذا كانت كلمات الإمام بمثابة الأشجار، التي من خصائصها أنّها ثابتة ومتحرّكة في آنٍ واحد؛ تمدّ جذورها إلى أعماق الأرض، وفي الوقت نفسه، تمتدّ على سطحها لمساحاتٍ واسعة لتعطي الثمر وتمنح الفيء والهواء النقي لجميع الأحياء؛ ولذلك فهي رمزٌ فاعلٌ ودالٌّ بقوّة على مكافئه الواقعي في النصّ (الكلمات)،

(١) بحار الأنوار: ٣٦/ ٨٥.

كلام الشجر عطاؤه، هو ناطقٌ بغير حروف، والكلمات هي الأقرب إلى الوهج الحياتي.

إنَّ الفكرة التي جسّدها المقطع الثاني لا تنفصل عن الثيمة الكلّيّة التي تجمع القصيدة بأكملها، فهي تبرّز حالة تضييع المجتمع الكوفي لفيوضات وجود أمير المؤمنين عليه السلام وحكمه، وما سعى الى إحيائه وترسيخه من أخلاقيّات وقواعد إسلاميّة حقّة في السلوك والحكم، فمثّلَ المقطعُ انعدامًا في الاستقرار وعدم الانسجام، فهو يُبرِّزُ التناقض ما بين عطاء ممتدٍّ ومتواصلٍ يمثّله الإمام في كلّ خطواته، وما بين جحود الأرض التي تمثّلُ جحود المجتمع وما عاشه من أحداث استثنائيّة حاولت إعاقة استمرار عطائه، ومع هذا عمد الشاعرُ إلى تصوير استمرار عطائه على الرغم من جحود الناسَ والعقباتِ والصعوباتِ التي واجهته.

المحور الثالث: امتداد الأثر: عليٌّ يبكي قتلاهُ

في الوجه الثالث يبدأُ المقطع بمفارقةٍ كبيرةٍ وصادمةٍ، يرصد الدرس الإنساني الكبير الذي قدّمه الإمامُ للبشريّة، فهو (يبكي قتلاه)، كمعلّمٍ كبيرٍ للأمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، فيقول الشاعر:

((يبكي قتلاهُ
ويمشي في ليلِ الكوفةِ
جفْناه نخيلٌ مُحترقٌ
ويداهُ نهرانِ حبيسانِ
وحيدًا يمشي في ليلِ الكوفةِ
والأرضُ خوارجُ أو أمويّونَ

عـليٌّ في لـيـلِ الـكـوفـةِ وهْـجُ مـراراتٍ
لـم يـهـزم في حـربٍ
لم يـرغـب في حـربٍ
يـتـفـقّـدُ أشـجـارًا آخـت في يـده الـسيفَ
فتشمخُ في مملكةٍ للدمعِ بناها بين القاتلِ والمقتولِ
عـليٌّ يـبـكـي قـتـلاهُ
ويـمـشي غـابـةَ آمـالٍ مـكـسـورةْ
غـابـة آمـالٍ مـهـجـورةْ
لم يـرغـبْ في حـربٍ
لـم يـسـلـمْ مـن حـربٍ
كـيـف لـه أن يـغـضـبَ لله
هـي الأرضُ الـمـلأُ الـمـفـتـونْ
مـاذا أيّـتـهـا الـكـوفـةُ؟
أيّتها المهدُ - اللحدُ، الأصحابُ - الأعداءُ، الشهداءُ - المنتحرونْ
لـيـل الـكـوفـة غـابـاتٌ مـائـلـةٌ
وعـليٌّ وهـجُ مـراراتٍ
والأرضُ خـوارجُ أو أمـويّـونْ
كـان عـليٌّ يـبـكـي قـتـلاهُ
وحـين هـوى في المـحـرابِ
تـعـالـتْ أشـجـارُ يـديْـهِ

وغـابـتْ في أُفُـــقٍ لا يـظـهـرُ لـلـنـاسِ
ولـكـنَّ ظـلالًا مـنـهـا ســارتْ في الأرضِ
لـتُـخـرِجَ آفـاقًـا تَـسـنـحُ لـلـمـلأ المـفْـتـونْ
يتلقَّفُها الملهوفونَ، التّوابونَ، المنتظِرونْ))

يعمدُ المقطع هنا إلى تصعيد صورةِ المكابدةِ التي كان يعيشها أمير المؤمنين عليه السلام فهو حينما يمشي في ليل الكوفة، يكون على هذه الهيئة: (جفناه نخيلٌ محترقٌ، يداه نهران حبيسان، والأرض من حوله ومن تحته خوارجُ وأمويّون)، ومع كلّ ذلك لم يهزم في حرب، و(يشمخ في مملكة للدمع بناها، ويمشي غابة أعمال مهجورة ومكسورة)، على الرغم من كلّ هذه المثبّطات، والواقع المرير بقي محض عطاء حتّى آخر لحظات حياته، فهو عليه السلام كان يعي هذا الواقع بشكلٍ عميقٍ جدًّا، وينظر إليه ويتفاعل معه بحواسّه، ويقرؤه بعين كلمات الله (القرآن الكريم) وبعقله وقلبه، ويرى باطنه ببصيرته، ليست ثمّة حدود بين الواقع وبينه، هو ذائبٌ فيه، متغلغلٌ في كلّ مناحي الحياة وتفاصيلها، ومن هنا كانت مراجعته مستمرّة لهذا الواقع، وكلماته مضيئة له على شكل خطب وحكم ووصايا، تترسّخ مع كلّ خطوة يخطوها، لأنّ مرتكزها اليقين بوعد الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، وجليّةٌ جدًّا مديات التولّي التي تشير إليها مضامين الآية الكريمة، وارتباط ذلك بخطّ الإسلام الصحيح ومبادئه وقيمه المضفورة بخطى النبيّ وأهلِ بيته (صلوات الله عليهم).

ويتفرّع هذا الأثر القرآني من حياةِ الإمام عليه السلام إلى النصّ في تمثيلاته، على نحوٍ خفيّ؛ عبر تأكيد حالتي القبض والبسط في علاقته بمجتمعه، فمع تنكّر الأخير وجحوده وقبض ولائه وطاعته، يبسط عليه السلام فيض عطائه، مؤكّدًا ملازمته للخلق

القرآني السامي، فهو قرين القرآن؛ ولذلك كان معنى محاولة إقصائه عن ولايته إقصاءً لكتاب الله، ومخالفة صريحة لأوامره، ومع هذا ظلّ القرآن يرفدُ الحياة عبر الثقل الثاني بما يضمن هداية الإنسان وصلاحه في حياته، وكرامته في الدارين[1]. وقد جابه (صلوات الله عليه) الصعاب والتنكّر لفضله ولوصايا النبيّ صلى الله عليه وآله وكلماته الصريحة الدالّة على ولايته وقيموميّته من بعده على شؤون المؤمنين، وقد وصف الإمامُ عليه السلام مكابدته لذلك في أكثرِ من خطبةٍ، وفي عدّة مناسبات، فعلى الرغم من أنّه كان يتعرّض لمختلف الموضوعات في خطبه، ويخوض في مختلف المعارف العقديّة منها والأخلاقيّة والسياسيّة والتاريخيّة، إلّا أنّه كان يجعل من ذلك مناسبة ليُعطي تمثيلًا للعلاقة ما بينه وبين محيطه، بين أفكاره والأفكار التي تسود هذا المحيطَ.

لقد جاءت صور المخالفين في هذا المقطع من القصيدة متّصلةً بالمقطع الأوّل (الوجه الأوّل) وامتدادًا له – عبر وصف السياق التاريخي الذي عاش فيه أمير المؤمنين عليه السلام – على هيئة كائنات ظلّيّة، ليس لها وجودٌ مكتملٌ، فهي سرعان ما تنمحي وتزول، في مقابل انفتاح الأفق بحضوره وديمومة بقائه وقوّة حضوره وإشراقه هنا، لقد (خانَتْهُ الأرضُ/ الأرضُ خوارجُ أو أمويّونْ)، وقابلها عليه السلام بأنّه (يبدِّدُ فيها أشجارَ يديْهِ)، ويبلغ من الأرض الجحود والعناد ونكران الحقّ مديات بعيدة، فهي تناور بالجحود نفسه ولكن بتنويعات مختلفة نسبيًّا، ويكون ردُّها على عطائه الرحب بهذا الفعل: (تذهبُ عنهُ / لا تلقاهُ بوجهٍ)، على نحوٍ كان الإمامُ قد شخّصه في خطب عدّة، منها خطبته التي سمّيت بالقاصعة، وفيها يلوم أهل العصيان قائلًا: ((أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ))[2]، وهذا التقلّب والتلوّن والارتداد ذكره القرآن كثيرًا،

(١) ينظر: الإمام عليّ قرين القرآن: ٢/ ٨٧.
(٢) نهج البلاغة، رقم الخطبة: ١٩٢.

وبيَّن أنّ روح التسليم والعبوديّة تقتضي تسليم الإنسان لأحكام الله، وتمسّكه في مقام العمل والقولِ بالشريعةِ والقيم الدينيّة، والجحود والعصيان بسببِ عدم تلاؤم بعض تعاليم الشريعة والدين مع رغباته النفسيّة، فلم يقبلها ويعمل بها، وفي مثل هذه الحالات يقف البشر عند مفترق طريقين ولابدّ لهم من انتخابِ طريقٍ واحدٍ؛ فإمّا أنْ يختاروا إرادة الله والشريعة ومخالفة النفس، أو يقدّموا إرادتهم على إرادة الله والقيم الدينيّة(١).

وعلى الرغم من مأساويّة هذا الواقع وسوئه ونكرانه أو إخفاقه في الإيمان بالولاية والإفادة من وجود الإمام المبارك، فإنّ هذا الواقع لم يؤثّر على حيويّة تجلّيات ملامح شخصه وذاته وإيمانه: (تعالتْ أشجارُ يديْهِ/ وغابتْ في أُفُقٍ لا يظهرُ للناسِ/ ولكنَّ ظلالًا منها سارتْ في الأرضِ ...)، فحياته قد اختُصِرَتْ في كلامِ النبيّ صلى الله عليه وآله الذي وصفه بأنّه (الحقّ)، فكانت حياة الحقّ في عالمٍ تنكّرَ لهذا الحقّ. وفي مقابل صورته عليه السلام وهو يبسطُ يديه أشجارًا للعطاء إلى الإنسانيّة، يقف المخالفون ويحاولون على وفق نسق مترابطٍ أن يؤسّسوا لأفكار تحقّق لهم تبعيّة ذهنيّة، تضمن ارتباط المجتمع بهم، وتتوجّه نحو الجهة التي يريدون، وهكذا تكون التبعيّة عاملًا فاعلًا في تأكيد وجودهم وترسيخه، وهذا ما سعوا إليه على نحوٍ عملي بعد شهادته عليه السلام، وتنكّرهم لآل بيته فيما بعد، في خطٍّ مختلف ومناهض لهم.

وفي المستوى البنائي جاء الوجه الثالث كالسابقين؛ معتمدًا إبراز بنية التضاد بين مكوّناته؛ في الوجه الأوّل كان بين الإمام وسياقه التاريخي، وفي الثاني بين كلماته عليه السلام وبين سامعيها، فهو لم يرغب في حرب، ولكنّه في الوقت نفسه لم يسلم من حرب، وجمعت الكوفة بين كونها مهدًا وبين مآلها لحدًا، وفي الوقت الذي كانت

(١) تجلّي القرآن في نهج البلاغة: ١٢٤.

فيه موئلَ الولاء له من قبل الأصحاب، كانت تمثّلُ معقل المنافقين والعداء له، وهي موطن الشهداء الذين استشهدوا في رحابه وتحت لوائه وقيادته، وفي الوقت نفسه كثر فيها المنتحرون الذين خسروا الحياة الدنيا والآخرة بعدائهم له ولبنيه فيما بعد.

حرصت القصيدةُ على تعريةِ الانحراف في مكوّنات السياق التاريخي والإشكاليّات التي حفّت به وانطبعت بطابعه، إطارًا زمنيًّا خارجيًّا للأحداثِ ولشخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام، وبقيت هذه الإشكاليّات موغلة في التاريخ ومستمرّة، تتعلّقُ بطبيعة المجتمع الذي أسّسَ له وأنشأه المخالفون بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، مِن تنكّرهم خطّ الولاية، وصارت متجدّدة مع الأئمّة من ولدِهِ (صلوات الله عليهم)؛ لأنّها مرتبطة بالمجتمع، وضلالة المخالفين فيه.

من جانبٍ آخر، حاولتِ المقاطع الثلاثة (الوجوه) أن تنوّع محتواها تنويعًا نسبيًّا، وتوحّدت في أسلوبِ تقديم هذا التنويع؛ ليكون مبناها مندغمًا مع معناها ومضمونها، ولكي تقدّم صورة بانوراميّة لشخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام، عبر وشائج مركزيّة ربطت ما بين هذه الوجوه، ودليل ذلك تكرار بعض المفردات والمعاني والصور فيها، فضلًا على أنّ استهلال هذه المقاطع وخواتيمها متماثلٌ نسبيًّا؛ إذ كانت النهايات مفتوحة على فضاءات وآفاق ممتدّة، فاجتماع الثبات والتحوّل في المبنى جاء مماثلًا لذلك في الموضوع والمعنى؛ فقد مثّلَ عليه السلام الثبات والرسوخ والانتماء للعقيدة الحقّة، ولم يتغيّر أو يتحوّل، ولم ينكث ويبدّل، بينما مثّل الطرفُ الثاني الواقع بتبدلّه وتحوّله وتلوّنه وتغيّره.

ويمكن أنْ نصلَ إلى تصوّرٍ نهائيّ عن هذه الوجوه الثلاثة التي قدّمتها القصيدةُ؛ فهي قد قرأت الواقع من خلال شخصيّة الإمامِ عليه السلام، عبر وجوهه المقترحة للكشف، وتمّ كلّ ذلك بصورٍ مكثّفةٍ، غير أنّ قارئها – في النهاية – يبقى يشعر بحاجةٍ إلى البحث

عن قراءةٍ جديدة، وتفسيرٍ دقيقٍ لهذا المحيط الجاحد، وفرّط في أثمن فرص إغنائه وإثرائه، لم يفد من وجودهِ عليه السلام، الذي لم يكفّ عن العطاء، حتّى مع نهاية حياته، وبعد هذه القرون الممتدّة من الزمان، وظلَّ أفقًا مفتوحًا للعطاءِ على مرِّ الأجيال.

الخاتمة

صوّرت القصيدةُ عدم إذعان أمير المؤمنين عليه السلام أو انكساره إزاء جبهة الباطل، فهو يمثّل بحقٍّ جبهة القرآن والمحفوظ من قبل الله تعالى، فليس هناك أيّ مجال لأن يخذل القرآن حامله، وحاول الشاعر جودت فخر الدين إظهار هذا البعد عبر إبراز التقاطع والتضادّ ما بين الإمام وطبيعة المجتمع الذي عاش فيه. بعبارة أخرى نستطيع القول بأنّ القصيدة جاءت لكي تقدّم تمثيلًا حيًّا لجبهتي الحقّ والباطل، وكيف أنّ هناك تقاطعًا فيما بينهما، وصراعًا لن ينتهِ، على الرغم من استشهاده عليه السلام، بل أنّ شهادته مثّلتْ منارًا للآتين، وسبيلًا لإقامةِ الحقّ وامتداده. فجسّد الامتدادُ الإنساني لروحه عليه السلام في تعامله مع هذا الواقع بأدبه الإسلامي الإلهي الكبير، فهو يتعاملُ بمنتهى العدل الذي حرص على أنْ يجسّده حتّى آخر ساعات حياته، بوصفه مبدأً إلهيًّا راسخًا، وصورة قرآنيّة ناطقة بحقّ، وتحرّاه في إصدار الحكم بالقصاص على قاتلهِ حينما يوصي ابنه الحسن عليه السلام بأنْ يُحسِن معاملة أسيره، ويطعمه ممّا يأكل، ويعتني به، فإنْ برئ تكفّل بأمره، وإنْ مات فضربةٌ بضربةٍ؛ ولذلك زادت التفاصيل التي يذكرها الشاعر في الوجه الثالث من حدّة التناقض ما بين منهجه عليه السلام الذي هو منهج الحقّ، منهج القرآن، وبين منهج الباطل والنفاق الذي يقف في الجهة المقابلة والمعاكسة له.

وأيضًا نستطيع قراءة الأثر القرآني عبر نمطٍ مألوف قد لا يتجاوز التحرّي عن سموّ المؤثّر وقدرته الكبيرة في التأثير في النفوس، ومن منظورٍ آخر نقرأ هذا الأثر

بطريقة مختلفة، ترتكز منطلقاتها إلى كون المؤثّر والمتأثّر ثقلين مترابطين متوازيين في الأهمّية والحضور والامتداد مع الخصوصيّة التي يمتلكها كلٌّ منهما، ويكشف ذلك عمّا يمكن تسميته بالأثرِ الغائب، كلّيًّا أو نسبيًّا عن المحيط، كشفه التمثّلُ الكامل للقرآن الكريم بشكلٍ فاعل في حياةِ الإمام قولًا وسلوكًا، في مختلف الظروف والأحوال.

لقد قدّمت القصيدة برصدها تجلّيات هذا الأثر فرصة للقارئ يحاول أنْ يفيد منها في قراءة أشمل لبيان هذا الأثر، يتأكّد فيه تفرّعُه إلى مسارات عدّة في حياةِ الإمامِ عليه السلام، وغيابه عن مجتمعه وسياقه الثقافي. ولاحظنا من جانبٍ آخر كيف امتدَّ هذا الأثر إلى القصيدة وتفرّع فيها، عبر تعالقٍ دالٍّ مع آيات قرآنيّة كثيرة، نلمسُ حضورها بشكل واضح في ألفاظ معيّنة، وأنْ نصغي لأصداء هذه الآيات وهي تحضر على نحو خفيّ مؤثّر في النصّ.

ويمكن وصف هذه التعالق القرآني، وتفريعه وامتداداته في القصيدة بأنّها علاقة جامعة، جاءت تمظهراتها في القصيدة متوالية، تمَّ فيها تمثّلُ النص القرآني بشكل غير مباشر في مقاطع القصيدة الثلاثة، فوجدنا في المقاطع أصداءً للأثر القرآني، واضحة تارةً وخافتة تارة أخرى، ولكنّها في الحالتين فاعلة بشكل مؤثّر. فقدّم الشاعر قراءته لشخصيّة الإمام عليه السلام في سياقه التاريخي ومحيطه، وكيف أنّ سلوكه كان في ضوء القرآن الكريم، في مقابل تنكّر المجتمع لهذه العلاقة، على الرغم من أنَّ أفراده في الظاهر يحترمون القرآن، ويؤمنون بوجوب اتّباعه، ولكنّهم يفصلون ما بينه وبين الثقل الثاني بوصفه وصيًّا وخليفةً للنبيّ صلى الله عليه وآله، فالنصّ في وجوهه الثلاثة يعتمدُ مرجعيّة تاريخيّة وقرآنيّة واضحة المعالم، عمد الشاعرُ إلى تكثيفها وتمثيل ما تركته من آثار واضحة المعالم بشكلٍ كبيرٍ.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. إرشاد القلوب، المنجي من عمل به من أليم العقاب: الشيخ الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد الديلمي، تح: هاشم الميلاني، دار الأسوة، قم، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٢. الإمام عليّ عليه السلام القرآن الناطق، طالب خان، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٣. الإمام عليّ قرين القرآن: يحيى قاسم أبو عواضه، دائرة الثقافة القرآنية، ط١، ٢٠١٧م.

٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: العلامة الحجّة فخر الأمّة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٥. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، د.ط، ١٤٠٤ هـ.

٦. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي النجفي، تح: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ط١، ١٤٠٧هـ.

٧. تجلّي القرآن في نهج البلاغة، محمّد تقي مصباح اليزدي، إصدارات مركز الإمام الخميني (رحمه الله) للتعليم والبحث، تر: ماجد الخاقاني، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.

٨. سماوات، جودت فخر الدين، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٩. سماوات، ديوان جودت فخر الدين تقاطعات نون الجمع، حلاوي هاني، جريدة السفير، العدد: ٩٣٢١، ٨/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

١٠. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠م.